**إضاءة**

### أحمد كمال باشا في قرابة العربية والمصرية القديمة

# لُغتان وأصلٌ واحد وهوية

كما يحفل التاريخ بضياع وإضاعة لغات وثقافات، فإنه شاهدٌ أيضاً على استعادة هويات وروابط مفقودة. هذا ما جرى مع لغة مصر القديمة، التي تعرضت جذورها العربية لمحوٍ حتى بات أهلها يجهلون عروبتها. لأحمد كمال باشا (1851-1923) فضلٌ في وصل ما قُطع

**محمد الأسعد**

شهد التاريخ القريب والبعيد أحداثاً بيّنة بذاتها، مثل الاعتداء على حريات الشعوب وأراضيها وثرواتها. ولكنه شهد أيضاً أحداثَ اعتداءاتٍ مماثلة في مجالاتٍ أخرى؛ اعتداءات تظلّ خفيّة في أسبابها ونتائجها، أو لا تلفت نظرَ إلّا قلّة من الناس. من هذه الأحداث ما تتعرّض له هويّةُ لغةِ شعبٍ من الشعوب من تزوير وتلفيق يُبعدانها عن الشجرة التي تنتمي إليها، ويلحقانها بجذع غريب عنها مكاناً وزماناً، وما تتعرض لهُ ثقافة شعب من الشعوب حين يتمّ إسقاط فترة زمنية طويلة من تاريخها شهدت مساهمتها في هذا الجانب الحضاري أو ذاك.

في كلا الحالين، نحن أمام محْوٍ للهوية، سواء كانت لغوية أو ثقافية، وطمسٍ لملامحَ سيكون له أثرٌ بالغ على كل المستويات الاجتماعية والثقافية والسياسية والاقتصادية، يتمثل في خسائر معنوية ومادية لا يمكن تعويضها في أغلب الأحيان. وأيُّ متابع يقظٍ لأحداثٍ من هذا النوع لمدّة طويلة نسبياً، سيكتشف كم هي مُدمِّرةٌ أنماطُ المحو هذه، والتي تكاد تتفوق على المحو الجغرافي لوطن، أو استبدال اسمه باسم آخر. في المقابل، نجد أن التاريخ يشهد، أحياناً، أحداثاً معاكسة تتمثّل في استعادة الهويات المفقودة ولو بعد حين، وكثيراً ما تشهد الأحداث في هذا السياق كفاحاً وتضحيات يبذلها الشعبُ الذي أُبعد عن هويته اللغوية، أو سُلبت منه، أو أُبعد عن منجزات أسلافه الثقافية، أو يبذلها أفرادٌ منه، من أجل استعادة أزمنته المفقودة من حساب تاريخه، أو استعادة صلاتٍ لغوية له بلغته الأمّ التي محَتْها أفانينٌ من المطامع السياسية أو الاقتصادية. ويماثل هذا الكفاح، وتعادل هذه التضحيات، ما يبذله أبناء هذا الشعب في سبيل تحرير أرضهم ومواردها من قبضة من يعتدي عليها في سياق آخر.

### لغة تعود إلى أصلها المفقود

اللغة المعنيّة هنا، هي ما يُطلق عليه اللغة المصرية القديمة، المكتوبة بالأبجدية المسمّاة ـ حسب اللفظ اليوناني ـ باسم «الهيروغليفية». فهذه اللغة تعرّضت لمحو هويتها العربية حتى بات أهلُها أنفسهم يجهلون عروبتها، وأطلق عليها الباحثون الأجانب اسم «اللغة الفرعونية»، وشكّكوا زمناً بهويّتها الحقيقية، كما شكّكوا تِبعاً لذلك بعلاقات بلدٍ مثل مصر بمحيطه العربي، وخاصة بجزيرة العرب، وأمعنوا في هذا إلى درجة إشاعة القول بأن مصر تنتمي إلى أوروبا عقلاً ومصيراً ومصلحة، ولا تنتمي إلى محيطها الطبيعي. وشاعت أمثال هذه الأقوال إلى درجة أن أصبحت فيها من المسلّمات التي لا تقبل النقاش.

بالطبع، كان لمحو الهوية هذا آثار سلبية على كلّ صعيد، يمكن التعرّف عليها في المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية، إلا أنّنا سنقتصر حديثنا هنا على الجهود التي بذلها علماء مصريون كان لهم الفضل في الكشف عن هذا المحو الذي تعرّضت له هويّة لغتهم، وعلى رأسهم رائدٌ لا يَعرف عن منجزاته وكفاحه إلا القليل من المختصين، هو أحمد كمال باشا (1851- 1923).

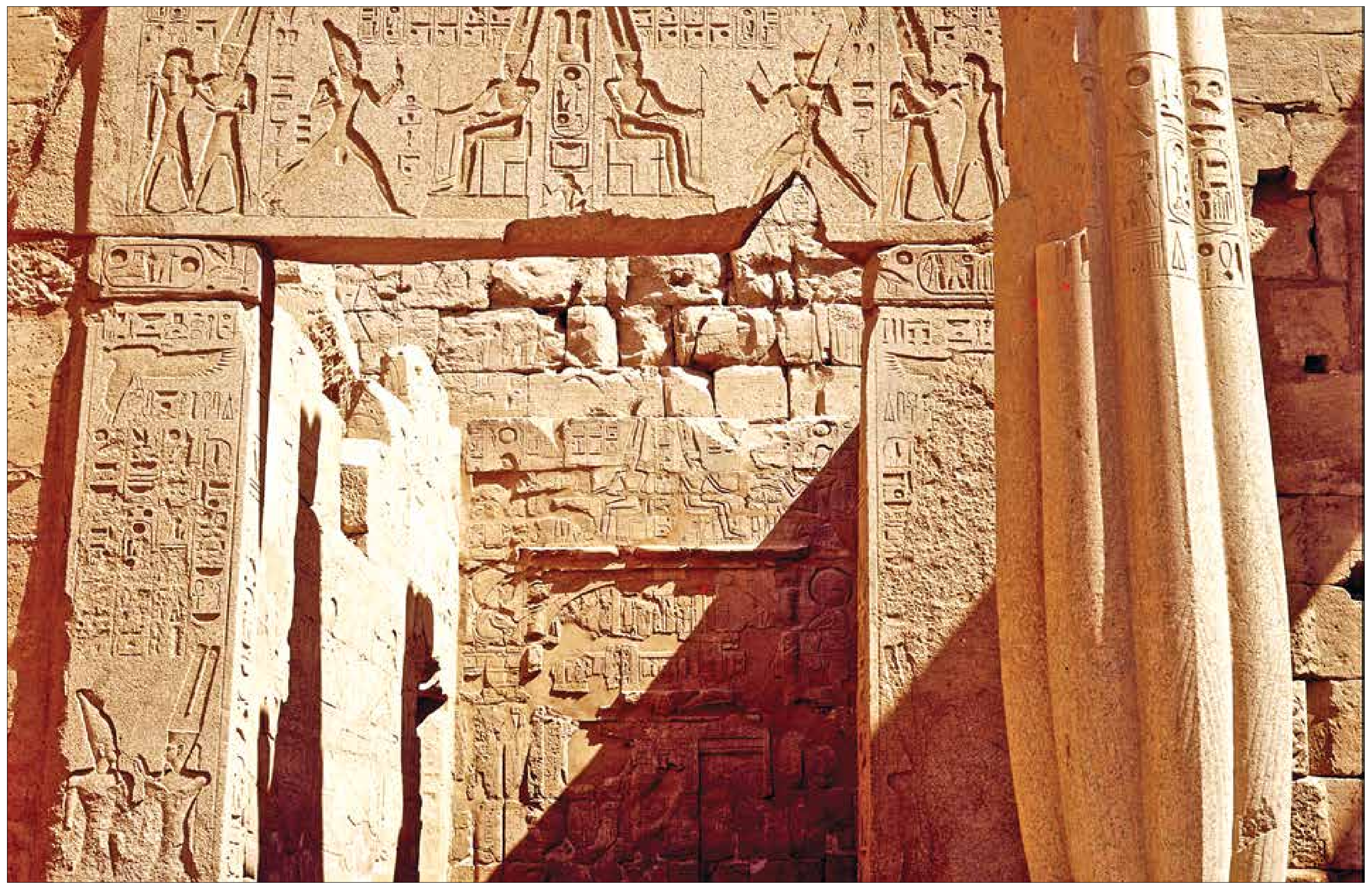
رسومات ونقوش هيروغليفية على أحد جدران معابد الكرنك في الأقصر (Getty)

صحيحٌ أن ما قدّمه هذا الرائد، الذي تفوّق في الدراسات الآثارية المصرية، لغة وحضارة، وقرأ نقوشها الهيروغليفية قراءةَ خبير عالم ومعنيّ قبْلَ غيره بهذا الشأن. تمثل في عدّة كتب ومحاضرات وتعاليم بثّها خلال عمله في التنقيب عن الآثار وتولّيه أمانة «متحف القاهرة»، إلّا أنّ أعظم منجزاته كان اكتشافه عروبة لغة مصر القديمة عبر قراءة نقوشها، وإصداره لمعجم «الفرائد البهية في قواعد اللغة الهيروغليفية» (1885)، الذي وضع فيه ـ لأوّل مرة في تاريخ تأليف معاجم هذه اللغة ـ الكلمات العربية المقابلة للكلمات المصرية القديمة، وعكوفه بعد ذلك طوال عشرين عاماً على وضع قاموس لهذه اللغة مكوّن من 22 جزءاً. ولعلّ ما حدث لهذا القاموس يُمكن أن يلخّص الكفاح المرير الذي كان على هذا العالِم خوضه انتصاراً لما تكشَّف له، ووجد معارضة شرسة من قِبل الموظفين الأجانب (فرنسيين وبريطانيين) الذين كانوا يحتكرون العمل في مضمار عِلم ما يُدعى المصريات، أي كل ما يتعلق بمصر القديمة وآثارها، تدريساً وإشرافاً على المتاحف والتنقيبات والمطبوعات.

> أُهملت أعمال أحمد كمال باشا ولم يُنشر منها إلا جزء

> لو نُشرت أعماله في وقتها لدحضت نظريّات الاستشراق

قبل وفاته بوقت قليل، تقدّم أحمد كمال باشا إلى وزارة المعارف لطباعة القاموس، فأحالته إلى مدير المطبوعات البريطاني، فأحاله هذا من جانبه إلى بريطاني آخر يشغل منصب كبير أمناء مصلحة الآثار ليبدي رأيه، وأشرك هذا معه اثنين، أحدهما فرنسي والآخر أميركي. وجاء رأي هؤلاء برفض نشر القاموس، باستثناء الأميركي الذي لم يجد سبباً لعدم نشره.

ولم تهتمّ الوزارة بنشره، وتمّ إهمال عمل على جانب كبير من الأهمية كان نشرُه ليدحض نظريّات الاستشراق والتغريب التي محت هوية مصر العربية، وأبعدت أصل المصريين عن كل ما يمتّ إلى العروبة بصِلة. عملٌ كان ليكشف عن عروبة مصر على امتداد تاريخها الطويل. طوى النسيان هذا القاموس وصاحبَه لمدّة تقارب ثلاثة أرباع القرن، إلى أن أُتيح لجزء واحد منه أن يرى النور عام 2002، بل ولم يعد أحدٌ، حتى في مصر، يتذكّر أن هذا العالم الآثاري أصدر أوّل معجم للمصرية القديمة (الفرائد البهية...).

### تطبيقات لغوية

وبالعودة إلى صاحب هذا الاكتشاف، الذي يكاد يكون مجهولاً في الأوساط الثقافية العربية، نجد أنّه عرض تجربته في التعرّف على الصِّلة بين اللغتين، وفي استعادة الهوية الحقيقية للُغة مصر القديمة، في عدّة مناسبات، كان أكثرها وضوحاً في محاضرة له ألقاها في «مدرسة المعلمين الناصرية»، ونشرت مقاطعَ مهمّة منها مجلّةُ «المقتطف» في العدد رقم 3، بتاريخ 1 آذار/ مارس 1914.

جاء في هذه المحاضرة قوله: «اعلموا أيها السادة أن كثرة مطالعتي في اللغة المصرية القديمة ... منذ كنتُ في الثامنة عشرة من عمري إلى أن بلغتُ الستين. مهّدت لي سُبُل الوصول إلى اكتشاف غريب مفيد، ألا وهو أن اللغة العربية واللغة المصرية القديمة من أصل واحد وهو لغة ‹الأعناء›، إن لم تكونا لغة واحدة افترقتا بما دخلهما من القلب والإبدال كما حصل في كل اللغات القديمة».

(شاعر وروائي وناقد من فلسطين)

**النص الكامل**
على الموقع الالكتروني

## تطبيقاتٌ أخرى للمنهج

في مقالة له في مجلة «المقتطف» (العدد 23، أيلول/ سبتمبر 1921)، يواصل أحمد كمال باشا تطبيق منهجه ـ الذي أوصله إلى اكتشاف الهوية العربية للغة المصرية القديمة ـ لتفنيد قول باحثين ومفسّرين بوجود كلمات أعجمية في القرآن. ويُظهر في مقالته، المسمّاة «في براءة القرآن الشريف عن بعض الألفاظ الأعجمية»، أن لكلمات مثل «أباريق» و«سرى» و«هيت» و«رسّ» «وقط» و«يم» أصلاً عربياً يؤكّده ورودها في اللغة المصرية القديمة.

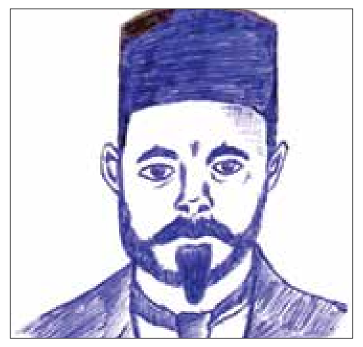

---

**إطلالة**

### انتكاسة بعد عقود من اليوتوبيا الشبابية

# انتصار مجتمع الاستهلاك

كيفما التفتنا اليوم، نلاحظ العالم وقد سجّل تراجعاً عمّا حلمت به الشبيبة قبل عقود. تراجع يشهد عليه الهوَس الاستهلاكي بكل شيء، حتى الأسلحة

**فوّاز حداد**

في ستينيات القرن الماضي، سيطر شعار «من أجل عالم جديد» على حركات الشبيبة في بلدان العالم الرأسمالي، وبشكل محدود في العالم الاشتراكي. نشطت هذه الحركات في أميركا (نيويورك) وفرنسا (باريس) وتشيكوسلوفاكيا (براغ)، وتحلّت بالمثالية، فالشباب الذين كانوا عنصراً فاعلاً فيها، وهيمنوا عليها، كانوا مثاليين. في هذه السن المبكرة، قبل التخرّج من الجامعة، والالتحاق بسوق العمل، إن لم يكونوا مثاليين، وتأخذهم أفكارهم إلى المساواة والعدالة الاجتماعية، وتحلّق أحلامهم إلى حدود تغيير العالم، فلن يكونوا شبّاناً.

كان المزاج السياسي المخيّم على العالم مواتياً للانتفاض ضدّه، وأوضح ما يكون في الخلل الذي ضرب دولاً كبرى، وكان توازن العالم معتمداً عليها. ففي أميركا خرجت مظاهرات عارمة من الشبّان، في احتجاج على الحرب في فيتنام، البلد الفقير، الذي كانت القاذفات الأميركية تلقي فوقه يومياً مئات الأطنان من القنابل وتوقع مئات القتلى. بينما كان الشعب الأميركي لا يكفّ يوميًا عن استقبال توابيت قتلاه الشبّان، في حرب بدت بلا نهاية، تنشر الخراب والموت بلا جدوى سوى في المزيد من المآسي.

لم تستجب الحكومة الأميركية للمظاهرات، فاستمرّت وبلغ انتشارها وتأجّجها حدّاً شجّع الشبّان على القول لكل شيء: «لا»، ما أنتج ظاهرة الرفض، ومعها حركات الهيبّيين التي تمدّدت بسرعة كبيرة في مدينة نيويورك. تميز الهيبّيون بشعورهم الطويلة وملابسهم المهلهلة، وأغانيهم وموسيقاهم، وأصبح لهم مشاهير من الكتّاب والشعراء.

بينما اندلعت في باريس ثورة الطلبة، تحت راية «الحق في التعبير عن الرأي»، واتخذت الاحتجاجات دليلاً لها في رفض العالم القائم، ولوّحت المظاهرات بالعنف، فأقيمت المتاريس، رافقها رميُ الحجارة في تصدّيها للشرطة والاستهتار بالتقاليد فكان من مظاهرها تناوُل المخدّرات والنزوع نحو قدرٍ أكبر من الحرية الجنسية. تمركزت الحواجز في الشوارع، وتحوّلت قاعات الجامعة والمسارح إلى فسحات لعقد الندوات وإلقاء الخطابات الثورية. انضمّ العمال إلى الثورة، وأعلنوا الإضراب العام في البلاد. وانضمّ إليها مفكّرون معروفون مثل جان بول سارتر وميشيل فوكو. بدا وكأنّ البلاد مقدّمة على ثورة اشتراكية في قلب أوروبا الديمقراطية، تحت لواء «العلم الأحمر». ما وضع السلطة في حالة تأهُّب.

في حين شهدت براغ، العاصمة التشيكوسلوفاكية ربيعاً لا نظير له في البلدان الاشتراكية، أطلقه القائد الشيوعي التشيكي ألكسندر دوبتشيك، طالبَ فيه بـ «اشتراكية ذات وجه إنساني»، ما يعني، في الواقع، الابتعاد عن «الأخ الأكبر»، أي السعي للتحرُّر من الارتباط بروسيا من دون قطع الجسور معها. أجابت موسكو بإرسال أرتال كبيرة من الدبّابات وعشرات الآلاف من الجنود من أجل إعادة هيمنتها.

قام ربيع براغ وازدهر على عاتق الشباب التشيكيين، وكانوا الأساس في حركة احتجاج ضد «اشتراكية الدولة» و«ديكتاتورية الطبقة العاملة». لم تكن ظروف التاريخ وسلطة الاستبداد تسمحان بأن تؤدّي الحركة إلى نتيجة ملموسة على أرض الواقع.

أجمعت هذه الحركات الشبابية الثلاث على التعبير عن التحرّر من الحكومات، والدولة المتكلّسة، وتحريض المجتمع على إجراء تغييرات جذرية. أظهرت الشعارات المطروحة النزوعَ إلى يوتوبيا لا تخفي الحلم بإعادة صناعة العالم من جديد، وكان لا بدّ من أن يخالطها صراعٌ مع الأجيال السابقة، وانتقاد ما توافقت مجتمعاتهم على ما اعتبره الشبّان إنجازاً عقيماً، كان مدمّراً للحريات، ويحيل المجتمع إلى الاغتراب. فكان الاحتجاج على «نمط الحياة الاستهلاكي» وتحوُّل كل شيء إلى سلعة، رغم أن الحكومات نشدت تحقيق مجتمع الوفرة والرفاهية.

كان الإنسانُ الشرطَ الذي أصرّت تجمّعات الشبيبة على عدم تغييبه لصالح السلعة؛ الإنسان أوّلاً وأخيراً، عبر تحرير الطبيعة الإنسانية من متاجرة السلطة بتوجّهاتها ورغباتها وقيمها.

وعلى الرغم من التلاقي والتوافق بين الحركات الثلاث، اختلف ربيع براغ عمّا شهدته أميركا وفرنسا في الافتقاد إلى نمط المجتمع الاستهلاكي. كان الجزء الذي لا يُستهان به هو الاحتجاج ضد «الرفوف الخاوية في المخازن».

> أصرّت تجمّعات الشبيبة على عدم تغييب الإنسان لصالح السلعة

اليوم، بعد مضيّ عقود على حركات الشبيبة التي ربحت جولاتها الأولى، وشكّلت رصيداً قويّاً من الحرية في فرنسا ـ أصاب جيرانها من الدول الاشتراكية سابقاً، ذهبت بها إلى الديمقراطية أيضاً ـ يجب تسجيل فداحة خسارتها، في الانتصار الكاسح لنمط الحياة الاستهلاكي في العالم.

اليوم، كيفما التفتنا، نلاحظ العالم وقد سجّل تراجعاً عمّا حلمت به الشبيبة قبل عقود. تراجع يشهد عليه انتشار الهوَس بالاستهلاك لدى الكبار والشباب والصغار، ما يتعدى الكفاية إلى اللهاث وراء التخمة والاستعراض وصرعات الأزياء والموسيقى ومسلسلات الجريمة والألعاب الإلكترونية وأفلام البورنو، في عالم أصبح فيه قمع المظاهرات والاحتجاجات مفروغاً منه، ويتحرّك بالحروب والمجازر والاغتيالات وانفلات العنصريات، وترسُّخ الديكتاتوريات، ويستهلك جميع أنواع الأسلحة من الرصاص إلى القنابل والكيماوي... ضد الإنسان.

(روائي من سورية)

عمل لـ هيلين دو بوفوار، من سلسلة «شهر أيّار الجميل» التي تستلهم حراك الشباب الفرنسي عام 1968

---

**متابعة**

### لوحتي تفكير في أسواق جديدة للفنّ الجزائري

# محاولة لسدّ الفراغ

تبدو المنصّة الإلكترونية التي تنطلق اليوم الثلاثاء، محاوَلةً لتدارُك الغياب اللافت للفنّ التشكيلي الجزائري على الشبكة العنكبوتية

**محمد علاوة حاجي**

عمل لـ امحمّد إسياخم

مِن بين ما نلاحظه، عند النظر في المشهد التشكيلي الجزائري، حضورُه المحتشِم على الشبكة العنكبوتية؛ وهو احتشامٌ يُذكّرنا بمشكلةٍ أعمّ تتعلّق بغياب الصورة التي توثّق للثقافة الجزائرية بأماكنها ووجوهها وفعالياتها على الصفحات الافتراضية للإنترنت، حتى أن هذا النقص يوحي بغياب بلد مثل الجزائر عن الحضور أو المساهمة في الحياة الفنية للعالم. تنطبق هذه الملاحَظة على الفنّانين التشكيليّين وأعمالهم على حدٍّ سواء، مِن دون أن تستثني الروّاد منهم؛ مثل امحمّد إسياخم، ومحمد راسم، وعمر راسم، ومحمد بن خدّة، وباية (فاطمة محيي الدين).

إذا كنتَ محظوظاً، ومواظباً على متابعة المشهد الإبداعي في الجزائر، بإمكانك الالتقاء بلوحات هؤلاء وغيرهم من التشكيليّين الجزائريّين متفرِّقةً في الغاليريهات أو المتاحف الجزائرية وغير الجزائرية. لكنَّك لن تلتقي إلّا بالقليل منها على شبكة الإنترنت. وهذا القليلُ عادةً ما يأخُذ شكل صوَرٍ التُقطت بعيداً عن معايير تصوير (أو رقمَنة) الأعمال التشكيلية. يُمثِّل بعض الفنّانين الذين عاشوا في المهجر (الفرنسي غالباً) الاستثناء في هذا الأمر؛ إذ تتوفَّر أعمالُهم على الإنترنت، وبعضُ منهم، مِن الذين لا يزالون على قيد الحياة، باتوا يملكون مواقع إلكترونيةً تعرض أعمالهم.

تبدو منصّة «لوحتي»، التي أعلنت «الوكالة الجزائرية للإشعاع الثقافي»، وهي مؤسّسةٌ تابعةٌ لوزارة الثقافة، إطلاقَها اليوم الثلاثاء، محاوَلةً لسدِّ الفراغ الحاصل في هذا المجال. محاولة ينبغي أن تنتبه إلى المسؤولية المنوطة على عاتقها بسدّ الفجوة البصريّة بين المنتَج التشكيلي الجزائري وحضوره عبر الشبكة العالمية، وهي محاولة تقف للأسف دون تراكم تاريخي، وعلى المشاركين فيها أن يبذلوا جهوداً مضاعفة في التواصل مع الفنانين أو إيجاد أرشيفات شخصية من المؤكّد أنها تتوفّر لدى الكثير من الأفراد، وربما المؤسّسات، في الجزائر وخارجها.

> تتيح المنصّة للفنّانين الجزائريين عرض وبيع أعمالهم عبر الإنترنت

نقرأ في بيانٍ للوكالةِ أنَّ المنصّة ستكونُ «إحدى الوسائل التي تتيح للفنّانين التواجُد، بشكل دائم، في معرضٍ افتراضي، يتيحُ لهُم الوصول بسهولةٍ إلى الخبراء والمستخدِمين المختلفين لهذا المجال الفنّي».

يُركِّز القائمون على «لوحتي»، في تعريفهم، على الجانب التجاري، مِن خلال الإشارة إلى أنّها ستُمكّن «الفنّانين الجزائريين مِن عرض وبيع إبداعاتهم الأصلية عبر الإنترنت» و«تقديم أعمالهم إلى السوق دون الحاجة إلى عرضها فعلياً»؛ فالمنصّة في الأساس هي أحدُ اقتراحات هيئةٍ أنشأتها وزارة الثقافة الجزائرية، مؤخّراً، باسم «سوق الفن» بهدف التفكير في إيجاد أسواق جديدة للفنون. مع ذلك، فإنَّ المنصَّة ستؤدّي أدواراً توثيقية وثقافية - حتى وإن لم يُشِر إليها بيان الوكالة - مِن خلال إتاحة الأعمال الفنّية للعرض على الإنترنت. لكنَّ ذلك يظلُّ مرهوناً بالالتزام بالمعايير المعمول بها في هذا المجال؛ مثل توفير الأعمال بجودةٍ عالية وتقديم المعلوماتِ التقنية الكافية حولها.

**النص الكامل**
على الموقع الالكتروني

---

## فعاليات

ضمن الأنشطة العلمية لفرع «المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات» في باريس، يلقي الباحث الفرنسي **بيير جان لويزار**، محاضرة بعنوان **خمس دول عربية على حافة الإفلاس: هل أن التاريخ يعيد نفسه** عبر تطبيق «زووم». تبدأ المحاضرة في السادسة والنصف من مساء اليوم، ويليها نقاش يديره سلام الكواكبي.

ينظّم كلّ من «مخبر آسيليا بولا» و«جامعة محمود الماطري» (تونس) ندوة بعنوان **عزيزة عثمانة وتأسيس بيمرستان العَزّافين** تنطلق عند الثالثة من بعد ظهر الغد. عاشت عزيزة عثمانة في القرن السابع عشر وكانت وراء إطلاق منشآت تقدّم خدمات اجتماعية، ومنها المستشفيات. تأتي الندوة ضمن سلسلة أنشطة بعنوان «عودة إلى الطب التقليدي في تونس: المعارف والممارسات».

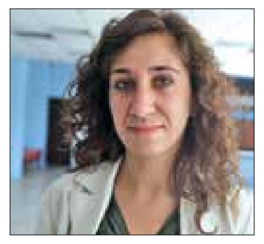

**لجوء في سورية (1915-1946): الكولونيالية، السياسات المحلية والأرض** عنوان محاضرة تلقيها الباحثة في التاريخ، **سيدا آلتوغ**، عند الخامسة من مساء الأربعاء 28 نيسان/إبريل عبر «زووم»، وبتنظيم من «معهد الدراسات الأناضولية» في إسطنبول. تتناول آلتوغ مصير أقليات لجأت للبلد إبّان الاحتلال الفرنسي.

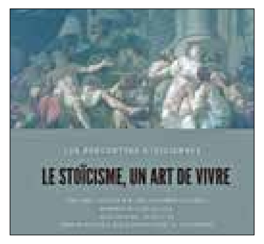

انطلاقاً من «مكتبة ديلفيكا» في جنيف، يُبَثّ اللقاء الحواري **الرواقية: فن للحياة** الذي يجمع الباحثين **بليز ألكسندر لوكنت** و**مايل غوارزين**، بداية من السادسة والنصف من مساء اليوم عبر «زووم». تأتي الجلسة ضمن برنامج «اللقاءات الرواقية» الذي يحاول تبسيط أفكار هذه المدرسة الفلسفية القديمة.